

التعويم العرائضي والجحود

بقلم الياس بجاني

مسؤول لجنة الاعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

لقد أصبح عهد فخامة العماد على أبواب السنة الخامسة وهو لا يزال دون منطلق أو لون وحتى دون بوصلة. إنه عهد تلطمه الأمواج من كل حذب وصوب، وبات كالسفينة المتقوية من عدة أماكن التي لا أمل في نجاتها. فالسياسة الكيدية، سياسة اللاسياسة التي يتبعها أفقدته كل مصداقية كونه يعمل الشيء وعكسه في لجج سياسة المبالغة في القرارات الارتجالية والانتقامية حتى بدا أنه انتهى في الاتجاه المعاكس لبدائته. هذا العهد يسبر من دون منطلق ويُسوق للشيء وعكسه ويطلب من المواطنين إلغاء ذاكرتهم لينسوا أن سيد العهد وعد في خطاب قسمه إنه لن يلاحق صحافياً واحداً في عهده. لكن ودون أن يرمش لفخامته جفن أقل محطة أم. تي. في. التلفزيونية لأسباب مناطقية دافعها الحقد والخوف، ضارباً عرض الحائط مصير ٤٥٠ إعلامياً أسوا بلا مدخول وبلا عمل. لقد أعدم فخامته المحطة إعداماً مبرماً وشرذ موظفيها وصحافيينها ليؤمن للإبن والصهر نفوذاً سياسياً مناطقياً على حساب الوطن وحرياته بعد أن فشلا في كسبه عن جدارة ومن خلال ثقة الناس بهما.

أما تعهد فخامته بعدم إدخال أي صحافي السجن، فقد نُفذ بالمقلوب، وقلة هم الصحافيون الذين لم يحاكموا أو يسجنوا خلال سني فخامته في قصر بعبدا. جريمة هؤلاء هي مجاهرتهم بكلمة الحق ومقاومة الاحتلال السوري بأرقي الوسائل السلمية والحضارية، والصحافي حبيب يونس مثال يقتدي به في هذا السياق. أما قمة الالتزام بوعد القسم فكان في اعتقال الدكتور أدونيس عكرة يوم ٢٠٠٣/٢/١١ بشكل اعتباطي ومصادرة كافة نسخ كتابه "لقد أصبح اسمي رقم ١٦"، الذي يروي فيه وقائع توقيفه في آب ٢٠٠١.

من هنا نعود إلى التاريخ الذي يعلمنا أن افطع الحماقات ارتكبت نتيجةً للطمع والحقْد وانفلات الغرائز، ومن أجل المراكز والثروات والعروش. والتاريخ مليء بأسماء قادة خانوا أوطانهم، وتلاميذ تأمروا على معلمهم، وأمراء نَحروا آباءهم، وأشقاء قتلوا أشقاءهم، وأصدقاء نكثوا عهود الصداقات ورجال دين دنسوا المقدسات وحنثوا بنزواتهم، وحاقدين قادوا شعوبهم إلى المهالك.

يعيد التاريخ نفسه بتكرار الأحداث والممارسات وإن اختلفت الأزمنة والأشخاص، علماً أنه لم ينجو شعبٌ واحدٌ من شعوب الأرض من قادة ورجال دين ودنيا يُشتمون مع كل شروق شمس بسبب ما اقترفوه من خساسة وتآمر وجحود.

من هنا فإن ما يتعرض له شعبنا المقيم والمنتشر من ممارسات كيدية على أيدي سياسيين وفاعليات ورجال دين مجردين من إنسانيتهم لا يمكن تصنيفها في غير خانة التآمر وردها إلى قلة الإيمان والأنانية، معطوفة على تفسخ القيم وانحطاط الأخلاق. إلا أن اللبناني لا بد وأنه يشعر بالاعتزاز وهو يرى نوعية ومستوى يوضاسيبي الوطن والمهجر في أيامنا هذه من "القناديل والمالكين وأطقمة الزقيفة" الذين لم يحلموا يوماً أن يكونوا في الصدارة، كانوا أقزماً وها هم الآن يصغرون أكثر وقد أمسوا بحجم الصراصير بعد أن خانوا الأمانة واتخذوا من خيانة الاسخريوطي نبراساً لهم. لقد فشل المحتل ورغم كل القهر الذي مارسه من أن يستقطب قيادي أو سياسي واحد "عليه القيمة والقدر" فالتجأ إلى أشباه الرجال، وما أكثرهم.

لم تفاجأ جاليتنا بالمواقف الأخيرة التي كلف بعض العاملين في الشأن العام تظهيرها بتحريض من قِبَل من ضربوا عرض الحائط برسالتهم. مواقف يائسة تجسدت عبر "عرائض" لتعويم من غرق في أحوال التملق وأسر نفسه في مواقف لا تحاكي المحيط. أما عملية استغلال عيد شفيح إحدى الطوائف لتعويم الغريق إعلامياً !!! فقد جاءت مكشوفة المرامي والأهداف وأثارت الشفقة على فكر مخطيها ومنفذيها.

أن الإناء ينضح بما فيه وفاقد الشيء لا يعطيه، فهؤلاء المكلفين نحر لبنان الاغتراب والاقتراع على ثوب حرية وعزة لبنانيه، سيبدلون البندقية من كتف إلى آخر قريباً جداً لأنهم ما تعودوا أن يوالوا إلا من يؤمن مصالحهم. نُذكر من جنَد هؤلاء وغيرهم من أصحاب الضمائر المخدرة بما جاء في "إنجيل القديس متى ٢٣-١٥: "الويل لكم أيُّها الكتبةُ الفريسيُّون، فإنكم تجوبون البحر والبر لتكسبوا دخيلاً واحداً، فإذا أصبح دخيلاً، جعلتموه يستحق نار جهنم ضعف ما أنتم تستحقون". يبقى أنه ورغم المضايقات والتهديدات التي يتعرض لها شعبنا السيادي على كافة الأصعدة، ورغم الأزمات الاقتصادية الخانقة المفروضة عليه، فهو متشبث بإيمانه ويعيش على رجاء قيامة الوطن من كبوته مكللاً بأكاليل الغار. وهو لفظ المارقين كافة ولعنهم مردداً ما قاله المعلم للإسخريوطي: "الويل لذلك الشخص الذي يُسلمُ ابن الانسان عن يده. فلو لم يُولد ذلك الانسان لكان خيراً له" (متى ٢٦-٢٤). هذا وقد بدأ اللبنانيون بزراعة أشجار التين على حافة الطرقات وفي الحقول والغابات لتكون جاهزة للإسخريوطيين يوم تأتي ساعة الحساب، وهي ولا بد آتية.